وجوه الخطاب في القران الكريم

(مدلولاتها و فوائدها)

*دكتور عبد الحي مدني

Different aspects of address (speech) in Holy Quran (its meanings and benefits)

This last divine book Holy Quran is a great miracle given to last prophet Muhammad (peace be upon him) and this book has many miracle of its own. One of these miracles is its style of addressing (speech). We picked twenty two different modes of address used in Holy Quran and mentioned all these modes one by one with definitions: General with examples, Specific for Specific with examples, Specific for General with examples, General for Specific with examples, Gender with examples, Essence with examples, Praise with examples, Dispraise with examples, Sarcasm with examples, Plural by Singular with examples, Singular by Plural with examples, Two by Singular with examples, Plural after Singular with examples, Consideration with examples, Inorganic with examples, Rash with examples, Explanation with examples, Anger with examples, Preference with examples, Inimitability with examples, Coloring with examples. Giving its explanation, meaning, examples, benefits, and its impacts supported by Quranic verses, Hadiths, and opiniosns of scholars like Imam Shoukani, Imam Al-Zarkashi, Imam Shafi, Al-Ghazali, Al-Shanqeeti, Ibn-e-Taimiyyah, Ibn-e-Hazam

الحمدلله والصلاة والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد :

ما بعث الله نبياً ولا رسولاً إلا ايده بالمعجزة لتكون دليلاً لرسالته وتأييداً لدعوته وصدق نبوته كان القران الكريم معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى الذى أعجز

* أستاذمساعد بجامعة اين اي دي للهندسة و التكنالوجية كراتشي

الفصحاء والبلغاء وأهل العلم والفكر ، وبه أحيا الله القلوب وأناء البصائر وأخرج الأمة من الجهل والرذيلة والشرك إلى الهدى والفضيلة والإيمان اليقين ولقد عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أن سر سعادتهم في الدارين يكمن في القرآن فبات همهم تعلم القرآن حفظاً وفهماً وتطبيقاً فعلينا معشر المسلمين أن نسترشد بتعاليم القرآن ونعمل به كما استرشد السلف بتعاليمه وعملوا به ومما لا شك فيه أن من أجل الفنون وأشرفها علم التفسير الذي هو تبين معاني كلام الله وقد وضع أهل العلم له أصولاً كما وضعوا لعلم الحديث أصولاً ولعلم القفه أصولاً ومن تلك القواعد والأصول معرفة وجوه الخطاب في القرآن الكريم

الأول: خطاب العام المراد به العموم

تعريفه:

لغة:مأخوذ في العموم ، وهو الشمول 1

إصطلاحاً: إختلف الأصوليون في تعريف العام على عبارات مختلفة لكن أحسن هو: كلام مستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد، دفعة ، بلاحصر

وهذا التعريف هو الذي رجحه المحققون من العلماء والأصوليين ، كشيخ الاسلام 2 والإمام ابن حزم الظاهري 3 والرازي 4 و الغزالي 5 والشنقيطي 6 وهو تعريف لجمهور الأصوليين

والمراد بخطاب العام المراد به العموم ، ما أريد به العموم قطعاً ، وهو الذي اشتمل على قرينة تنفي إحتمال تخصيصه

مثل قوله تعالى:(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) 7

وقوله تعالى:(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) 8 فهذا عام لا خاصَّ فيه

قال الإمام الشافعي رحمه الله " فكل شيء في سماء وأرض ، وذي روح وشجر وغير ذلك فالله خلقه، وكل دابة فعلى الله رزقها ، ويعلم مستقرها و مستودعها " 9

وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) 10 المراد به كل الإنسان

وقال تعالى:(وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) 11 ذكر الله أنه لا يظلم أحداً ، فلا ينقص من حسنات محسن ، أيّاً كان ولا يزيد من سئيات مسيئ أيّاً كان ولا يعاقب على غير ذنب ومثل هذا كثير في القرآن.

الثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصوص

إختلفت عبارات الأصوليين في تعريف الخاص ، فعرفه البعض بأنه " اللفظ الدال على واحد بعينه " 12

وقال البعض هو : ما لا يعم شيئين فصاعداً 13

وقال آخرون هو : اللفظ الدال على الواحد عيناً مثل " زيد " 14

وغير ذلك في العبارات ، وكلها ترجع إلى معنى واحد وهو : أنه كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الإنفراد وأمثلته في القرآن كثير :

قال تعالى : (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) 15 المراد به أبو جهل لعنه الله ، ويقال له ذلك تهكماً ، لأنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : " ما بين جبلين أعز ولا أكرم مني " 16

قال تعالى :(فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.)17 رغير ذلك من الأيات

الثالث :خطاب الخاص ، والمراد به العموم

كقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا) 18

فائدة:ذكر كثير من المفسرين ان الواقع في القرآن الكريم ان الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثةأقسام:

1 : قد يتوجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم ولا يكون داخلاً فيه قطعاً ، وإنما المراد به الأمة بلاخلاف ، من ذلك قوله تعالى في برالوالدين (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا

تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) 19

ومعنى قوله " إِمَّا يَبْلُغَنَّ " أي يبلغ عندك والداك أو أحدهما الكبر ، فلا تقل لهما أف و معلوم أن والديه صلى الله عليه وسلم قد مات قبل بزمن طويل ، فلا وجه لإشتراط بلوغهما أو احدهما الكبر بعد أن مات منذ زمن طويل إلا أن المراد التشريع لغيره صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت أن مثل هذا من أساليب اللغة العربية ، فمن أساليب اللغة خطابهم إنساناً والمراد بالخطاب غيره و مثله قوله تعالى (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا) 20

فالظاهر أن الخطاب في هذه الآية متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليشرع لأمته على لسانه إخلاص التوحيد في العبادة له ، لأنه صلى الله عليه وسلم معلوم أنه لا يجعل مع الله إلها آخر .وغير ذلك من الآيات

2 : أن يكون خاصاً به لا يدخل معه غيره قطعاً كقوله تعالى :(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) 21

3 : هو ما نحن بصدده خطاب خاص المراد به العموم ، ويدخل في هذا البحث قاعدة عظيمة وهي أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب 22

يعني إذا نزلت الآية لسبب خاص ولفظها عام ، كان حكمها شاملاً لسببها ولكل ما يتناوله لفظها ، لأن القرآن نزل تشريعاً عاما لجميع الأمة فكانت العبرة بعموم لفظه لا بخصوص سببه

ففي قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ----- فا فتتح الخطاب بالنبي والمراد سائر من يملك الطلاق قالوا : كان النداء للنبي والخطاب للأمة تكريماً للرسول وتكليفاً للأمة وقيل: خوطبت الأمة في شخصية الرسول كخطاب الجماعة في شخصية رئيسها .

قال ابو بكر الصيرفي " كان ابتداء الخطاب له فلما قال في الموهوبة (خالصة لك) علم أن ما قبلها له ولغيره " 23 وغيره من الآيات

الرابع :خطاب العام والمراد الخصوص

إختلف العلماء هل وقع ذلك في القرآن أم لا ؟ فأنكره البعض ، والصحيح أنه واقع ذكر الإمام الشافعي 24 والزركشي 25 الأمثلة على وقوع ذلك في القرآن كقوله تعالى(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) 26

وعمومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعاً ، والمراد ببعضهم فالأول نعيم بن سعيد الثقفي ، والثاني أبوسفيان و أصحابه 27

قال الإمام شافعي : " فإذ كان من مع رسول الله صلىالله عليه وسلم ناسًا غير من جمع لهم من الناس وكان المخبرون لهم ناسٌ غير من جُمِع لهم وغيرَ من معه جُمع عليه معه وكان الجامعون لهم ناساً ، فالدلالة بينة مما وصفت : من أنه جمع لهم بعض الناس دون بعض " 28

ومثله قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) 29

قال الإمام الشافعي : فمخرج اللفظ عام على الناس كلهم ، ومما هو معلوم عند أهل العلم بلسان العرب منهم أنه إنما يراد بهذااللفظ العام المخرج بعض الناس دون بعض لأنه لا يخاطب بهذا إلامن يدعومن دون الله " 30

ونظيره قوله تعالى (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) 31 وهذا عام في الحامل وغيره ثم خص بقوله تعالى(وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَ) 32 وله أمثلة كثيرة في القرآن الكريم

الخامس:خطاب الجنس

نحو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)33 وهو في القرآن كثير ، فإن المراد جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب .فيدخل فيه الأحرار والعبيد ، والرجال والنساء ، وهذا باتفاق العلماء واختلف الأصوليون في دخول النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) والأكثرون رجحوا دخول النبي في هذا الخطاب قال الراغب الأصفهاني فيما يتعلق بهذا النوع من الخطاب " والناس " قد يذكّر، والمراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم " الناس " تجوزاً، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية ، وهو وجود العقل والذكر وسائر القوة المختصة به ، فإن كل شيئ عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه ، كاليد فإنها إذا عدمت فعلها الخاص بها ، فإطلاق اليدعليها كإطلاقه على يد السرير ومثله قوله تعالى : (آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) 34 أي كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية ، و لم يقصد بالإنسان عينا واحداً ، بل قصد المعنى .

السادس : خطاب العين

وهو في القرآن كثير نحو قوله تعالى (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) 35

وقوله تعالى (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) 36 وغير ذلك من الآيات .

فائدة أولى : و لم يقع في القرآن النداء بـــــ " يا محمد" بل " يايهاالنبي" و "يا ايها الرسول" تعظيماً له وتبجيلاً وتخصيصاً بذلك عن سواه 37

فائدة ثانية: إختلف المفسرون فى الخطاب الخاص بالرسول كقوله (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) 38

وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ----) 39

هل يشمل الأمة أم لا ؟ ورجح الأكثرون من المحققين انه يشملها بإعتباره قدوة لها 40

فائدة ثالثة: من تعمق النظر في القرآن و تفاسيره يجد فرقاً واضحاً بين استعمال لفظ " يا ايها النبي " و " يا ايها الرسول " يجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول ، وكذا

عكسه كقوله في مقام الأمر بالتشريع العام (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك) 41

وتأمل قوله تعالى (يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آَمَنُوالَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) 42 فى مقام الإقتداء بالكتاب والسنة ثم قال" لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ" فكأنه جمع له المقامين:معنى النبوة والرسالة تحديداً للنعم فى الحالين.

السابع : خطاب الـــمـــدح

كقوله تعالى (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) 43

وقوله " يا أيها الذين امنوا " و هذا كثير في القرآن وقد يرد الخطاب بذلك بإعتبار الظاهر عند المخاطب ، وهم المنافقون فإنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان كما قال تعالى : (قَالُوا آَمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) 44

الثامن : خطاب الذم

نحو قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) 45 وقوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) 46

ولتضمن هذا الخطاب الإهانة والذم لم يقع في القرآن غير هذين الموضعين

فائدة:كثرالخطاب بـــ "ياأيها الذين أمنوا "على المواجهةمدحاًلهم ، وفي جانب الكفارعلى الغيبة إعراضاً عنهم،وإهانة وذماًلهم كقوله تعالى(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوااِنْ يَنْتَهُوايُغْفَرْلَهُمْ مَاقَدْسَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوافَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُالْأَوَّلِينَ) 47

التاسع : خطاب التهكم

وهو الإستهزاء بالمخاطب كقوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) 48

وهو الخطاب لأبى جهل ، لأنه قال ما بين جبليها ، يعنى مكة ، أعزولاأكرم مني ، فقتله الله يوم بدر وأذله ، فأنزل الله هذا الأية 49 والنزل ما يعدُّ للضيف ويكون أول ما يأكله والمعنى ان ما ذكر من شجر الزقوم ، وشراب الحميم ، وهو الذى يعدُّ لهم

ويأكلونه يوم القيامة وفي هذا قمكم واستهزاء بهم ، لأن النزل هو ما يعد للأضياف تكرمة لهم 50 وغير ذلك في الآيات الكثيرة

العاشر : خطاب الجمع بلفظ الواحد

نحو قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) 51

والمراد به الجميع لا فرداً واحداً بدليل قوله تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) 52

وكقوله تعالى (قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) 53 و لم يقل"ضيوفي" لأنه مصدر والمراد به الجمع لا الإفراد

وقوله تعالى (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) 54 و لم يقل رفقاء ، وهو المراد من الأية وغير ذلك من الأيات الكثيرة

الحادي عشر : خطاب الواحد بلفظ الجمع

نحو قوله تعالى (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) 55 أي إرجعني ، ووجه صيغة الجمع (رب ارجعوني) و لم يقل (رب ارجعني) بالإفراد :

أ – لأن صيغة الجمع لتعظيم المخاطب وهو الله تعالى ، فالنادم السائل يتركب صيغة الجمع في ذلك الوقت تعظيما لربه ، ورجح العلامة الشنقيطي هذا الوجه.

ب – وقيل : ان قول " رب " استغاثة به تعالى وقوله (ارجعون) خطاب للملائكة 56

ومنه قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) 57

فهذا خطاب للنبي وحده إذ لانبي معه ولا بعده ،ومنه قوله تعالى(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) 58

فظاهر الأية تدل على أن قوم نوح كذبوا جماعة من المرسلين بدليل صيغة الجمع والمراد منه نوح عليه السلام وحده ، ووجه إتيان صيغة الجمع انه لما كانت دعوة الأنبياء واحدة وهي : لا اله الا الله صار مكذب واحد منهم مكذباً لجميعهم وغير ذلك في الآيات

الثاني عشر : خطاب الواحد والجمع بلفظ الإثنين

كقوله تعالى (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) 59 اختلف المفسرون في هذه الأية ذهب بعض المفسرين إلى ان المراد من الأية – السائق والشهيد المذكورين في الأية التي قبلها وهي " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد" وذهب الآخرون إلى انه من باب الخطاب الواحد والجمع بلفظ الإثنين ورجح الإمام الشوكاني هذا الرأي 60

وذكرعليه أمثلة في كلام العرب واستعمالهم لمثل هذاونقل الزركشي عن الفراء قولاً آخر وهو : ان الخطاب لخزنة النار والزبانية فيكون من باب خطاب الجمع بلفظ الإثنين 61

الثالث عشر : خطاب الإثنين بلفظ الواحد

نحو قوله تعالى (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى) 62 أي و هارون وخص موسى بالنداء لكونه الأصل في الرسالة

وقوله تعالى (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) 63 و لم يقل : رسولاوغير ذلك في الأيات

الرابع عشر : خطاب الجمع بعد الواحد

كقوله تعالى (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) 64

الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وجمع في الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أسلوب من أساليب القرآن العظيم الكثيرة المختلفة .

و نحوه قوله تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) 65 فثنى في الأول حيث جعل الخطاب مع موسى و هارون ، ثم جمع حيث جعل الخطاب لهما ولقومهما ، ثم افرد في الثالث فجعل الخطاب لموسى ، لأنه الأصل في الرسالة وهارون تابع له 66

الخامس عشر : خطاب الإعتبار

كقوله تعالى حاكياًعن صالح لما هلك قومه (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَرَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)67 خاطبهم بعد هلاكهم،امالأنهم يسمعون ذلك كمافعل النبي بأهل بدر،واما للإعتبار

السادس عشر : خطاب الجمادات خطاب من يعقل

كقوله تعالى (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) 68

فلفظ"طائعين"جمع مذكرعاقل،وصاحبهاضميرتثنيةلغير عاقل ، والمفروض ان يكون " طائعتين " مطابقاً صاحبها في التثنية الجواب عن ذلك : ان لفظ " طائعين " جمع للسموات والأرض ، لأن السموات سبع والأرضين كذلك بدليل قوله

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) 69 فالتثنية لفظية فقط تحتها اربعة عشر فرداً وأما إتيان الجمع على صيغة جمع العقلاء ، فلأن العادة في اللغة العربية أنه اذا وصف غير العاقل بصفة تختص بالعاقل أجري عليه حكمه

وكقوله تعالى (يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ) 70 فأمرها كما تؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة لأن جميع مالا يعقل كذلك يؤمر

السابع عشر : خطاب التهيج والإثارة

كقوله تعالى (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) 71

حثهم ورغبهم على التوكل على الله ، وان المؤمنين حقهم ان يفعلوا ذلك أي التوكل

وكقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) 72 فالله سبحانه وتعالى وصفهم في بداية الأية بالأيمان ثم قال : " إن كنتم مؤمنين " فقد حثهم على ترك الربا وان المؤمنين حقهم أن يفعلوا ذلك والأيات في هذا كثيرة.

الثامن عشر : خطاب الـتـنـفـيـر

كقوله تعالى(وَلَايَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًاأَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًافَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)73

فقد جمعت الأية أوصافاً وتصويراً لما نيا له المغتاب من عرض اخيه على أفظع وجه ، وفي ذلك محاسن كالإستفهام الذي معناه التقريع والتنفير والتوبيخ ، وجعل ما هو الغاية في الكراهة موصولاً بالمحبة ، واسناد الفعل إلى " احدكم " فيه اشعار بأن احداً لا يحب ذلك ولم يقتصر على تمثيل الإعتبار بأكل لحم الإنسان حتى جعله " أخاً" ولم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله " ميتاً " وهذه كلها مبالغات عظيمة تفيد التنفير من الشيء المنهي عنه وغير ذلك من الأيات

التاسع عشر : خطاب التحنن والإستعطاف

كقوله تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) 74

قال الإمام الشوكاني حفظه الله " واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله لإشتمالهاعلى أعظم بشارة فإنها أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم و مزيد تبشيرهم ، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والإستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة ثم ذكر بعد ذلك المغفرة من الذنوب جميعاً إلا الشرك كما هو موضح في القرآن - " 75 فمثل هذا التحنن والإستعطاف مما يلين القلب ولو كان قاسياً

العشرون : خطاب التحبيب

كقوله تعالى (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) 76

وكقوله (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) 77 انما قال هارون لأخيه " قال يبنوم " لأن قرابة الأم أشد عطفاً وحناناً ومحبة من قرابة الأب ، وفي كليهما حناناومحبة

الحادي والعشرون : خطاب التعجيز

كقوله (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ) 78

قال الإمام الشوكاني في تفسير الآية الأولى" وهو أمر أي (فأتوا) معناه التعجيز - 79

وكقوله تعالى (قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) 80 وغير ذلك من الآيات

الثاني العشرون : خطاب التلوين وتسميه أهل المعاني الإلتفات

الإلتفات هو : العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم أو على العكس 81

وقيل : هو تحويل اسلوب الكلام من وجه إلى آخر 82.

وله اقسام :

1- الإلتفات من التكلم إلى الخطاب

ووجهه حث السامع وبعثه على الإستماع حيث اقبل المتكلم عليه وأنه اعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة كقوله تعالى (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) 83

الأصل: " واليه أرجع " فالتفت من التكلم إلى الخطاب ، فهو قد أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه ، وهو يريد نصح قومه ، تلطفاً بهم ومنه قوله تعالى (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) 84 و لم يقل " لنغفرلك "

2- الإلتفات من التكلم إلى الغيبة

ووجهه أن يفهم السامع ان هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب و اراد بالإنتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب ، من قرعه في الوجه بهام الهجر كقوله تعالى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) 85 و لم يقل " لنا "

3- الإلتفات من الخطاب الى التكلم

قال الزركشي:يمكن أن يمثل بقوله تعالى (قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) 86 على أنه سبحانه نزّل نفسه منزلة المخاطب 87

4- الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة

كقوله تعالى (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) 88 فقد إلتفت عن " كُنْتُمْ " إلى " جَرَيْنَ بِهِمْ"

وقوله تعالى(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) 89

والأصل " فقطعتم " عطفاً على ما قبله لكن عدل من الخطاب إلى الغيبة

5- من الغيبة ألى التكلم

كقوله تعالى (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) 90 عدل عن الغيبة في" قضاهن"و"سواهن "إلى التكلم في قوله " زينا السماء " للإهتمام بذلك والإخبار عن نفسه ، بأنه جعل الكوكب زينة السماء الدنيا و حفظاً ، تكذيباً لمن أنكر ذلك

6- من الغيبة إلى الخطاب

7- كقوله (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) 91 و لم يقل " لقد جاؤا " للدلالة على أن من قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبخاً عليه منكر عليه قوله ، كأنه يخاطب به قوماً حاضرين

وكقوله تعالى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) 92 فحول الكلام من الغيبة إلى الخطاب في قوله " إياك --- "

وللإلتفات فوائـــد منها :

1- حمل المخاطب على الإنتباه لتغير وجه الأسلوب عليه

2- حمله على التفكير في المعنى ، لأن تغير وجه الأسلوب يؤدي إلى التفكير في السبب

3- دفع السامة والملل عنه ، لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد يؤدي إلى الملل غالباً

4- قصد الإهتمام وقصد التوبيخ ..... وغير ذلك من الفوائد.

الـــحـــواشـــي

1- الكافية في الجدل – لإمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله ،ص 50
اصول الفقه الإسلامي – الدكتور وهبة الزحيلي، 243/1
تيسير الأصول – الزاهـــدي – حافظ ثناء الله ،ص 95

2- المسودة في أصول الفقه = جمعها – شهاب الدين أبو العباس الحنبلي،ص 574

3- الإحكام في أصول الأحكام – إبن حزم الظاهري، 263/1

4- المحصول في أصول الفقه – فخر الدين رازي، 513 / 1-2

5- المستصفى من علم الأصول – ابو حامد محمد بن محمد الغزالي،2،32

6- مذكرة في أصول الفقه – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ص243

7- القرآن 11 – 6

8- القرآن 39– 62

9- الرسالة – للإمام محمد ابن ادريس الشافعي، ص 54

10- القرآن 82 – 6

11- القرآن 18– 49

12- المسودة – لشيخ الإسلام إبن تيمية، ص 571

13- الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه،محمد بن عثمان المارديني الشافعي، ص 145

14- الكافية في الجدل،ص 50

15- القرآن 44 – 49

16- فتح القدير – محمد بن على الشوكاني ،4/756-757
وغرر التبيان في من لم يُسم في القرآن – بدرالدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة الكناني،ص 474

17- القرآن 33 – 37

18- القرآن 65 – 1

19- القرآن 17 – 23 / 24

20- القرآن 17 – 22

21- القرآن 33 – 50

22- اضواء البيان،محمد الأمين الشنقيطي،221/8

23- البرهان في علوم القرآن،امام بدرالدين محمدبن عبدالله الزركشي،،218/2

24- الرسالة للإمام الشافعي، ص 58 / 59 / 60

25- البرهان في علوم القرآن،للزركشي،220/2-221-222

26- القرآن 3 – 173

27- فتح القديرمحمد بن على الشوكاني،648/1-649 ،وغرر التبيان في من لم يسم في القرآن،ابن جماعة الكناني ص 232، و أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، 234/1 – 235

28- الرسالة للإمام الشافعي ص 59

29- القرآن 22 – 73

30- الرسالة ص 60

31- القرآن 2– 234

32- القرآن 65 – 4

33- القرآن 2– 168

34- القرآن 2 – 13

35- القرآن 2 – 35

36- القرآن 37 – 105

37- البرهان في علوم القرآن،للزركشي،228/2 وأضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن،للشنقيطي،408/7

38- القرآن 22 – 1

39- القرآن 5 – 41

40- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص 229 طبع: مؤسسة الرسالة بيروت

41- القرآن 5 – 67

42- القرآن 49 – 1 /2

43- القرآن 24 – 31

44- القرآن آية – 41

45- القرآن 66- 5 – 7

46- القرآن 109 – 1

47- القرآن 8 – 38

48- القرآن 44 – 49

49- تفسير ابن كثير4/ 146 وتفسير فتح القدير للشوكاني4 / 755 – 756

50- فتح القديرللشوكاني205/5

51- القرآن 84 – 6

52- القرآن 103/2- 1

53- القرآن 15 – 68

54- القرآن 4 – 69

55- القرآن 63 – 99

56- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي،559/5

57- القرآن 63 – 51

58- القرآن 26 – 105

59- القرآن 50 – 24

60- فتح القديرللشوكاني،101/5

61- البرهان في علوم القرآن،239/2

62- القرآن 20 – 49

63- القرآن 26 – 16

64- القرآن 10 – 61

65- القرآن 10 – 87

66- فتح القدير للشوكاني،653/2

67- القرآن 7 – 79

68- القرآن 41 – 11

69- القرآن 65 – 12

70- القرآن 34 – 10

71- القرآن 10 – 84

72- القرآن 2 – 278

73- القرآن 49 – 12

74- القرآن 39 – 53

75- فتح القدير،4/616-617

76- القرآن 19 – 42

77- القرآن 20 – 94

78- القرآن 2 – 23

79- فتح القدير،1/139

80- القرآن 3 – 168

81- كتاب التعريفات للجرجاني ص 51

82- البرهان في علوم القرآن للزركشي،3/314 و أصول في التفسير شيخ العثيمين ص 61

83- القرآن 36 – 22

84- القرآن 48 – 1 / 2

85- القرآن 108 – 1 / 2

86- القرآن 10 – 21

87- البرهان في علوم القرآن للزركشي،3/317

88- القرآن 10 – 22

89- القرآن 21– 92 / 93

90- القرآن 41 – 12

91- القرآن 19– 88 / 89

92- القرآن 1- 1 الى 5